أحمد نسيم

١٨٨٠ — ١٩٣٨

شاعر مبدع ، من أعلام الشعر الوطنى ، يمتاز بجزالة الأسلوب ، وتدفق المعانى والأحاسيس الوطنية فى قصائده ، لا يقل شعره رواء وحسن ديباجة عن شعر شوقى وحافظ وأحمد محرم .

ولد سنة ١٨٨٠ ، واعتنق منذ صباه مبادئ الوطنية ، وتجلت مواهبه الأدبية وهو فى سن مبكرة ، فامتزجت الوطنية بروحه الشاعرية ، وتمشت فى قصائده الغر ، وأضفت عليها جمالا ورونقا وبهاءا ، وجعلت لها رنينا موسيقيا يأخذ بمجامع القلوب .

سمى (شاعر الحزب الوطنى) ، واعتز هو بهذا اللقب ، وسجله فى ديباجة ديوانه الذى ظهر فى جزئين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٠ ، وأهداه إلى المرحوم محمد فريد زعيم الحزب الوطنى إذ ذاك ، قال فى كلمة الإهداء :

رئيسى المحبوب

« أما بعد فإنى أتشرف بإهداء الجزء الثانى من ديوانى إلى سعادتكم لاحتوائه على القصائد الوطنية التى نظمتها ما بين سنتى ١٩٠٩ و ١٩١٠ ميلادية ، وقد اعتمدت فى نقلها على الصحف التى تفضلت بنشرها مبقيا ديباجتها كما هى حتى لا يغرب عن ذهن القارئ على مدى الأيام وصف الحادث الذى نظمت القصيدة بسببه » .

« وإنى إذا أهديت ديوانى إلى سعادتكم فكأنى أهديته إلى الأمة المصرية التى يمثلها حزبكم الموقر » .

أحمد نسيم

شاعر الحزب الوطنى

ويعدّ نسيم ثانى الطبقة الأولى من شعراء الحزب الوطنى ، وأولهم أحمد محرم ، وثالث الثلاثة المعاصرين أحمد الكاشف الذى سنتحدث عنه فيما يلى ، وجميعهم تبدأ أسماؤهم (بأحمد) .

وتبدو مكانة نسيم الممتازة فى عالم الشعر من قول إسماعيل صبرى شيخ الشعراء فى تقريظ الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩٠٨ :

لكَ فى الشعر يا (نسيمُ) معانٍ باهراتٌ تحـــار فيها العقولُ
كُلُّ بيتٍ يُطـــالُ منه على أفـــهام أهل النُّهى مُحيًّا جميـــل

ولما ظهر الجزء الثانى سنة ١٩١٠ قرظه صبرى أيضاً ببيتين آخرين رقيقين قال :

أىُّ غُصْنٍ فى الرَّوْض هَزَّ (نسيمٌ) نُثِرَتْ منه هـــذه الأزهارُ
حبذا شعره الجنىّ وأهـــلا ببيان تُزهَى به الأشـــعارُ

يؤيد مصطفى كامل فى قطع علاقته بالخديو

قال نسيم مخاطبا مصطفى كامل بمناسبة كتابه إلى الخديو عباس الثانى بقطع علاقته به سنة ١٩٠٤ :

خطيبَ الشرق لا تلوى العِنانا فأنت المرء أوقرهم جنـــانا
وأمضاهم إذا كتبوا يراعاً وأذلقهم إذا نطقوا لســـانا
لقد دافعتَ دهراً عن بلاد قد افتخرت بمدرهِها زمانا
وكم رُمتَ العلاء لقَوْم مصر وكنت أشد من فيها جنانا
بقلب عافَ أرزاءَ الليـــالى كما عافَ المذلة والهـــوانا

* * *

وجانبتَ الأمير وأنت تنوِى فعالًا لا يكون بها مُدانا
وكم من فُرقة صعبت فهانت وكم من طارئ أخنى فهانا
فزِدْنا مصطفى وازدد ثباتا يَزِدْكَ القوم شكرا وامتنانا
مدحتك لا لجائزة ولكن وجدتك خير من يُهدَى البيانا

هدية شـــاعر ما ظل يُطرى ويمدح فيك أخلاقا حســـانا
فـكن للشرق ساعده المرجَّى تزرك قصـــــائدى آنا فآنا

يهاجم المعتمد البريطانى

ومن قوله سنة ١٩٠٦ مخاطبا اللورد كرومر لمناسبة رحيله عن مصر بعد خطبته التى هاجم فيها المصريين والإسلام :

يا لورد هل لك فى الإسلام من غرضٍ ترمى إليـــه بسهم منك مسنونِ ؟
هجوتَ قومى وما فارقت أرضَهم حتى تجرأتَ أن تنحى على الدين
رأيتُ أنك لست المرء تصلحنا ولست فينا على مصر بمأمون
غادرتها وهى للتقرير صارخةٌ إلى الإله بقلب منكَ محزون
فلا رماك الحيا إلَّا بداجنـــةٍ تهمى عليـــك بزقّوم وغسلين

يمجد الشرق ويحزن لحالته

قال يمجد الشرق ومصر و يحزن لحالتهما :

تَداعتْ رواسى الشرق فانهار جانبُهْ وما همَّ حتى أقعدته نوائبهْ
تحاربه الأعداء من كل جانب ولم يكفهم أن الزمان يحاربه
تحدّ على هاماته شـــــفراته وترهف فوق الناصيات قواضبه
وحسبك أن الشرق فى كل أمة مآثره مشهورة ومناقبـه
تخرَّج منه الفاتحون لأرضـه فماجت به بطحاؤه وسَبَاسِبُهْ
وكم كان للشمس المضيئة مطلعا وأفق معالٍ لا تغيب كواكبه

إلى أن قال :

وما الشرق إلَّا موطن عبثت به على غرة أبناؤه وأجانبـــــهْ
أضاعوا حمَى يجرى النضار بأرضه وتهمى عليـه باللجين سحائبه

يهاجم أسرة محمد على

وقال سنة ١٩٠٨ يخاطب مصر و يهاجم أسرة محمد على وهى فى إبان سلطانها :

رَثَيْتُكِ يا أرض الفراعنة الأُلى ... قضوا فى بلوغ المجد ما الحقّ واجبُهْ
ورثتِ بفضل العلم عزًّا ممنَّعاً ... فما بات إلَّا وابن غَيْرك غاصبُهْ

ولا خير فى عرشٍ من الغرب رَبُّه ... ولا خير فى مال من الغرب كاسبه

أفيق فما فى الجهل إلَّا مذلة ... ولا العلم إلَّا سؤددٌ عزَّ صاحبه
أنيرى ظلام الشرق بعد انسداله ... فعند طلوع الشمس تجلو غياهبه
ولا تقنطى من رحمة الله مرةً ... إذا شيم من برق انخذالك خالبه
وددت بلادى أن تسود بنفسها ... لأكتب فيها خير ما أنا كاتبهْ !

يدعو الأمة إلى الجهاد

ومن قوله سنة ١٩٠٨ يدعو الأمة إلى الجهاد والذود عن حقوقها واستقلالها :

هَلُمَّ ندافع جهدنا عن بلادنا ... دفاعَ كماة أو ضراغم غاب
كذلكم الرئبال تعروه سورةٌ ... إذا احتلَّ يوما خيسه بذئاب
ومن فقد استقلالَه عاش هَيّنا ... يسام صنوفا من أذًى وعذاب

هلم نَخُضْ غمر الصعاب إلى العلا ... ونفرقْ من الإقدام كلَّ عُباب
عسى يسعد الجد الذى مال نجمه ... وتشرق شمس المجد بعد غياب
ألم نَكُ كاليونان أهلاً لمجلس ... يدافع عنا عند كل مصاب
ألم نك كالبلغار والصرب فى الحجا ... وأخصب منهن اخضرار جَناب
ألم نك أرقى من ممالك لم تقم ... لدأبٍ ولم تهمم لأىّ طلاب
أليست بلاد النيل أوَّلَ أمة ... أماطت عن العرفان كل نقاب
علومٌ وأخلاقٌ وفضلٌ وهمة ... وتذليل أوعارٍ ودكُّ صعاب

وقال يفند مطاعن كرومر على المصريين :

فحتّام ذيّاك العميد ينوشنا ... بناجذ سرحان وظفر عقاب
فطوراً يعادينا بتقرير كاشح ... وطوراً يناوينا بنشر كتاب
ويأليته رَدَّ الدليل بمثله ... وخفّض من طعن له وضراب
إذا عجز المقهور عن قهر خصمه ... لدى البطش لم يلجأ لغير سباب

يرثى مصطفى كامل

وقال سنة ١٩٠٨ فى رثاء مصطفى كامل من قصيدة تزيد على ستين بيتا :

ما بال دمعكَ لا هامٍ ولا جارى ... هل اكتفيت بما فى القلب من نار ؟
جفّت دموعك من عينيك واسترت ... فيها نواعج أحزان وأكدار
ضاع الصواب ونفس المرء ساهمة ... ما بين أقضيةٍ تجرى وأقدار

* * *

يا طائرَ البين لا قرّبت من سكنٍ ... ولا هدأت بأفنان وأوكار
نعيتَ خير فتى كنا نؤمله ... يوم الرجاء لأوطان وأوطار
فليمرح الذئب ما شاءت مهانته ... فقد غَفَتْ عنه عَيْنُ الضيغم الضارى
لا أيّدَ الله أعداءً أذلّهمُ ... حتى أقاموا بدار الذل والعار

* * *

يا بائعَ الصبر إن الناس فى جزع ... فبع لهم كل مثقال بدينار
ما زال يدأب حتى خانه قدرٌ ... ألقى عليه عصا دأبٍ وتسيار

وقال يصف الجنازة واحتشاد الجموع فيها :

أعززْ على حامليه فوق أعينهم ... أن يرجعوا بأكفٍّ منه أصفار
كأنما النعش عرشٌ زانهُ مَلَكٌ ... يمشى الهوينا بإجلال وإكبار

كأنما الناس حول النعش مائجةً أمـواج مضطرب الآذىّ زخّار
فلو يعدُّون ما أوفى بهم عـدد كصيِّب القطر لا يحصى بتقـدَار
كأنمـا لَجب الباكين من هلع هزيم رعد أجشّ الصوت هدّار
كأنما الأرض قد سدَّت طرائقها بالناس من ثابت فيها وسيَّار

ومن قصيدة أخرى له سنة ١٩٠٨ فى رثائه :

أَمَلْ نأى عن أرض مصر وزالا أصْمَى القلوبَ وقطَّع الأوصـالا
يا نائباً عنا وكنت محسَّـداً فينا كما كنت الشريف فعالا
مدّت إليك يد المنون فأنشبت بقلوبنا قضبا لهـــا ونصالا

إلى أن قال :

إنا سـنُبقى ذكر فضلك خالدا لنـكون فى صـدق الوفاء مثالا
قد كنت أفضل من يذود لسانُه عنا وأصدَق من يقول مقالا
فليسْقِ شؤبوبُ الحَيَا لك موحشا قد ضم مجدا بينه وجلالا

يؤيد فريدا فى جهاده

قال سنة ١٩٠٨ مخاطبا محمد فريد رئيس الحزب الوطنى مؤيدا له فى جهاده :

إجهرْ برأيك إنّ الحق قد غَلَبَا هذا يراعُك يحكى السيفَ ما كتبا
أرى المضلين قد زاغت بصائرهم ومن يظن الدجى صبحا فقد كذبا
سِرْ فى طريقك لا تحفل بذمِّهم ولا يهـــزك مغرور إذا غضبا
لا أنت ترجو افتقاراً منهم نشبًا ولا تؤمل من إحسانهم رُتَبا
لا زلت بالحق بين القوم تخذلهم حتى تراهم وكُلٌّ فى الوغى هربا
فاهزم كتائبهم وافلل مضاربهم واسلل يراعك واكتب عنهمُ العجبا

يندد بوزارة مصطفى فهمى

وقال فى نوفمبر سنة ١٩٠٨ يندد بوزارة مصطفى فهمى على أثر سقوطها ، وكانت موالية للاحتلال :

ما للوزارة ذات الضعف والفشل ... باتت على دارس أعْفَى من الطلل ؟
وزارة بلغَت بالوهن غايتها ... فى كل نائبة أو حادث جلل
ترحلت غير مبكىٍّ على أحد ... وودعت غير مأسوف على رجل
إن زال مجد الفتى أو زال منصبه ... فذكره بعد فى التاريخ لم يزل
ياهيئة الصُّمِّ بينى غيرَ راجعة ... إلى جمودك فى أيامك الأول
وزارة ما لها فى الخير صالحة ... ولا على صولة الأيام من قِبَل
كانت تماثيل بين القوم قائمة ... بلا لسان ولا قلب ولا عمل

يندد بالخديو عباس

وقال فى ديسمبر سنة ١٩٠٨ حين تنكر الخديو عباس الثانى للحركة الوطنية ، وحيل بين جموع الشعب والاقتراب من موكبه لمطالبته بالدستور :

خطوبٌ ما لها أبداً نصير ... وأمرٌ حل فى مصر خطير
لئن كُرهت حياة الشعب يوما ... فخير لو تفتحت القبور

* * *

أيا ربَّ الأريكة قد رضينا ... بأنك لا تُزار ولا تزور
وهَبْنا نطلب الدستور جهرا ... ألا يرضيك ذيّاك الشعور ؟
أغيرك فى الملوك وأنت أدرى ... له شعبٌ على البلوى صبور ؟
فهل خدعتك فى البهتان ناس ... أرادوا أن يسوء بنا المصير ؟
(أمور يضحك السفهاء منها ... ويبكى من عواقبها الخبير)

يمجد الوطنية فى رأس السنة الهجرية

وقال سنة ١٩٠٩ فى الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية (١٣٢٧) الذى أقامته لجنه الحزب الوطنى الفرعية ببولاق بمدرسة الشعب يمجد الوطنية ويخاطب فريدا :

قد مثلونا فى التعصب مثلما ... قد شاءت الآثام والأوزارُ
كذبٌ قد ابتدعوه حتى ما لهم ... فى مصر إلّا الكيد والإضرار
بانَ الضلالُ من الهدى وبدا لنا ... فى منهج الحَقِّ القديم منار
يا أمة ثبتت على كيد العدى ... لا تجزعى إن الثبات فخار
سيرى إلى طلب (الجلاء) ولا تنى ... نُمنحْ من العليـاء ما نختار
أفريد لا تخذل بلادك بعـدما ... جُمعت لديك أولئك الأنصار
هذى الشبيبة قل لها لا تحجمى ... ما فى ثبات المقدمين شنار
لك من يراع الكاتبين صوارم ... ولديك منهم جحفل جرار
ترمى العداة إليك سهم سمومها ... ويذود عنك الواحد القهار
دعهم كما شاءوا ليوم حسابهم ... فلهم كما شاء الهوى أطوار
إنّا قد اخترناك خير مدافع ... يرضَى به الرحمنُ والمختار

وفى سنة ١٩١١ ألقى قصيدة أخرى فى تحية السنة الهجرية (١٣٢٩) بالاحتفال الذى أقامه الطلبة لهذه المناسبة بدار التمثيل العربى يوم أول يناير سنة ١٩١١ ، وقد حضره المرحوم محمد فريد ، وأشار الشاعر فى مطلع قصيدته إلى ما أصاب الحركة الوطنية من اضطهاد فى العام السابق . قال :

تَجلَّى العام فاستجْلوا الهلالا ... فإنى شِمْتُه للسعد فالا
سأطريه متى عزّت بلادى ... وقد رُزقت كما رُزق الكمالا
وأمدحه متى قمنا بمصر ... وأرجعنا لها ذاك الجلالا
فأما والبلاد وسا كنوها ... يزيد الدهر حالتهم نكالا

فلست بناظم فيـــه قريضا ولا أنا قائل فيـــه مقالا

* * *

إلام نطالب الأعوام خيرا ولم تنعم لنا الأعوام بالا ؟
تمر وتنقضى منها ليـــال بأرزاء الزمان غَدَتْ حُبالى
وتلك ممالك الإسلام كادت صروف الدهر تخبلها خبالا
فنست أخصها بالذكر عنا ونحن من البلاء أشد حالا

* * *

أيا عاما تقضى بئسَ سهمٌ رميت به الغوانى والرجالا
فقالوا هل صروف العام كانت نزاعا قلت بل كانت نِزالا
همومٌ لو رَشَقت بهـــا فؤاداً لكانت فى جوانبه نبالا
لقـــد حمّلتنا للضيم عبئا ثقيـــلا لا نطيق له احتمالا
وقد أجريت دمع القوم حتى كأنّا كلنـــا قوم ثكالى
ولولا ذكر أحمد[1] كل عام لما صُغنا لك الذكر الحـــلالا

المضى فى الجهاد

أرى فِرَقاً قد افترقت بمصر ورامت عن أواصلها انفصالا
أناس أخلصوا من بعد زيغ وثابوا بعد أن ألفِوا الضلالا
وأقوام قد ارتدوا جهارا فســـاءوا فى عواقبهم مآلا
وقال الناكصون كفى غُلوًّا وإلاّ ذقتم منـــــه الوبالا
خلائق فى المكارم لم يمدوا يمينا للفعـــــال ولا شمالا
أولئك عصبة بالحزى باءوا فسمّوا الحزى والجبن اعتدالا

(١) يقصد الرسول عليه الصلاة والسلام .

وقال يخاطب الشباب :

أنابتةَ البـــــلاد وخيرَ نشء ... غَدَوا للنشء بعـــدهم مثالا
عليكم بالإخاء ولا تَفلّوا ... عرى القُربىَ فتتخذلوا انخذالا
سيندب حظه الوطن المفدى ... إذا لم تحســـنوا عنه النضالا

فجدّوا فى علومكم صـــغارا ... ولا تشكوا السآمة والكلالا
فمن رام الكواكب والدرارى ... بلا علم فقـــد رام المحالا
وإن صرتم رجالَ النيل يوما ... فلا تنســـوا بربكم القتالا

وذودوا عنه ما اسطعتم برأى ... حصيف واجعلوا الحسنى جدالا
وما زال الرئيس[1] لكم كفيلا ... على رغم الخطوب ولن يَزالا
وكونوا للأجانب خير عون ... تزيدوا عروة الود اتصالا
إذا عشتم وإياهم بخـــير ... مَحَوْتم عنكم قيـــلا وقالا
لقد أوجزت خيفة أن يقولوا : ... نسيم فى قصيـــدته تغالى

الجهاد فى سبيل الدستور

وقال يستحث الأمة على طلب الدستور وعلى الاتحاد والثبات فى ميدان الجهاد :

فلا تفكوا عرى القُرْبَى ولو رجعت ... عنكم شفار الظبا مخضوبةً بدمِ
ولا تضيعوا من الدستور فرصـــته ... فتقرعوا السنّ من ذلٍّ ومن ندم
إن تيأسوا فانتهاء اليأس مسكنة ... أو تسأموا فاحتمال الذل فى السأم
ما نال قط المعانى وهى دانيـــة ... قومٌ نيامٌ وشعبٌ غـــير ملتئم
خيرٌ لنا الموت من عيش نكابده ... مع الهوان إذا كنتم ذوى شمم

(١) يريد الزعيم محمد فريد وكان حاضرا الاحتفال . وكانت النيابة العامة قد استدعته لاستجوابه فى تهمة صحفية باطلة ، ثم أحالته إلى محكمة الجنايات ، وقد حوكم فعلا وقضت عليه المحكمة ظلماً فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر .

ذكرى مصطفى كامل

وقال فى فبراير سنة ١٩٠٩ فى ذكرى مرور العام الأول على وفاة مصطفى كامل ، وقد ألقى هذه القصيدة فى دار اللواء بين يدى محمد فريد وأعضاء الحزب الوطنى قبل أن يتحرك موكب الذكرى بالمسير :

ما بال عينك بالمدامع تسجمُ ... رِفْقاً بنفسك فالقضاء محتم
قد عادت الذكرى فجدَّدَ عودُها ... بين الحشا جرحا يثور فيؤلم
يا يوم كامل كنت يوماً قاتماً ... كالليل أقبل وهو أسود أقتم
يا يوم لا كانت طلائعك التى ... بالنحس أنذر وجهها المتجهم

وختمها بقوله مخاطبا محمد فريد :

أفريدُ يا ابن الأكرمين تحيةً ... من شاعر لعقود مدحك ينظِمُ
أفريد يقرئُكَ السلامَ معاشرٌ ... مدُّوا إليك يد الولاء وسلَّموا
حصَّنت بيضتهم وصُنْتَ ذمارهم ... بعزيمةٍ قد أصْغَرت ما استعظموا
رَكِبُوا مطايا الحزم نحو رئيسهم ... إذْ أنت بينهم الأجلّ الأحزم
فاضرب برأيك فى مواقفَ جمة ... فالرأى فى بعض المواقف مخذم

يهاجم الاحتلال فى إبان سلطانه

قال سنة ١٩٠٩ من قصيدة يحمل فيها على الاحتلال ويفضح نكثه بعهوده ويستنهض الهمم للجهاد ، وقد بدأها يستصرخ الإنسانية لتمد إلى مصر المكافحة يد العون والتأييد ، وهى من عيون الشعر الوطنى :

يَاناشِرِينَ لواءَ العدل فى الأمم ... اللهَ فى أمةٍ أنَّتْ من الألَمِ
مُدُّوا إلينا يدا بيضاء نشكرها ... عند التحدث شكر الروض للدِّيَم
إنَّا مُنينا بأقوام جبابرة ... ما بين مغتصب منهم ومحتكم[1]

(١) يريد المحتلين .

لو استطاعوا لساقونا أمامهم ... ما بين متّهم منا ومحترم
جاءوا إلينا وفى أيمانهم شرف ... يموّهون به فى العهد والقسم
قالوا لنا : إننا جئنا بلادكم ... نبنى لكم ركن مجد غير منهدم
حتى تخدرت الأعصاب وانسدلت ... على العقول سجوفُ البطل والوهم
ولم يزالوا على هذا الدعاء وهم ... لا يقصدون سوى الإخماد للهمم
حتى إذا انتبهت منا جوارحُنا ... وأدرك الحالَ فهمُ الحاذق الفَهِم
حكّوا القلوب فأذكوها وربّتما ... أدّى إلى النار حكّ البارد الشبم
فلا عهود لهم ترعى ولا ذمم ... كما استباحوا لدينا النكث فى الذمم
صبّوا على مصر سَوْطا من تعنتهم ... وأججوا فى حشاها جَمْرَ بَغْيهم
هم أحرجونا بهذا الضيم من زمن ... فإن هممنا بدفع الضيم لم نُلَم

* * *

ياقائمين بأمر النيل حَسْبُكم ... ما أحرج القوم من ظلم ومن غشم
ناموا هنيئا قرير العين أن لنا ... عَيْناً من الشعب لم تغفل ولم تنم

وقال فيها يدعو الشعب إلى الاعتماد على نفسه :

وأنتَ يا شعبَ وادى النيل كن حَكَماً ... فليس غيرك من مستنصف حكم

كم أمة حكمت فى مصر وارتحلت ... عنها حليفة جد بعد لم يقم
سَلْ أمة الروم هل أبقت لنا أثرا ... يبقى على الدهر أو سَلْ أمة العجم
مضوا ولم يتركوا فى مصر مأثرة ... ينبيك عنها لسان النيل والهرم
هذا عجائب هذا القطر من زمن ... وتلك حالات وادى النيل من قدم

يحيى جريدة العَلَم

قام فى سنة ١٩١٠ خلاف على ملكية (اللواء) بين بعض ورثة المرحوم مصطفى كامل ، طرح أمره أمام القضاء ، وعين حارس قضائى على اللواء ، وكانت صحيفة الحز

الوطنى ، وأراد الحارس أن يتدخل فى تحريره وتوجيه سياسته ، فرفض المرحوم **محمد فريد** هذا التدخل ، وأنشأ جريدة (العلَم) وجعلها لسان حال الحزب الوطنى ، وابتدأ **ظهورها** يوم ٧ مارس سنة ١٩١٠ ، فحياها نسيم بقصيدة بديعة ، قال :

أَلاَ فليخفق (العَلَمُ) الجديدُ ... يميناً إن طالعه سعيدُ

أَيَا عَلَمَ البلاد عليك منى ... سلامُ الله ما خفقت بنود

أرى الأعلام معقلُها بناء ... ومعقلُك الجوانحُ والكبود

بِرَبكَّ خَبِّر الأقوام عنى ... بماتنوى الوزارة والعميد[1]

رفعتَ لنا وبالأبصار شك ... من الشبهات والأيامُ سودُ

فجئنا من لدنك بكل فأل ... تحدّاه التيمّن والسعود

وإن كنا نرى الأعلام شتى ... فأنت وربِّك العلَمُ الفريد

***

أيا (عَلَمَ) البلاد أرى احتلالا ... كأنّا عنده نفرٌ عبيد

أصرّ على الجفاء ونحن شعب ... أضرّ به التعسف والوعيد

وكم من جذوة فى القلب شبَّت ... فلم يدرك تأجُّجَها الخمودُ

فقلْ لهم أثيروا كل عسف ... فريحُ العاسفين لها ركود

متى ينأى احتلال النيل عنا ... وتصدق منه هاتيك الوعود ؟

قَضَوْا فينا بما شاءوا وصدُّوا ... كما راموا فهل نفع الصدود ؟

لقد فرِحوا بما أوتوا فجاروا ... وللباغى إذا عقلوا حدود

ضروب فى المكايد يوم تُحْصَى ... عليهم ليس يحصيها العديد

وكم ودّوا الشقاء لأهل مصر ... كما شقيت بظلمهم (الهنود)

---

(١) وزارة محمد سعيد . والعميد إلدون جورست معتمد بريطانيا .

مكايد يفزع التاريخ منها ويصدف عن إعادتها المعيد

* * *

أقول الحقَّ لا أخشى انتقاما يَهمّ إليه (طاغية) مريد
أإن أنَّ المضيم فقال رفقا تُشدُّ له السلاسلُ والقيود ؟
إذا مدّوا حبال السوء يوما فإن الله يومئذ شهيد

* * *

أيا (عَلَمَ) البلاد إليك شعرا تردده التهائم والنجود
ودونك عقد نظمى من جمان ومن درر يقال لها قصيد
يريد الشامتون بنا نكالا (ويأبى الله إلاّ ما يريد)
فكن فى الحق مثل الحق يمضى يكُنْ لك بينهم بأسٌ شديد
ولا تتبع هواهم بعد عِلْمٍ يضلوا فى الغواية أو يزيدوا
فليس بنافع فيهم رشاد ولا من بينهم رجل رشيد

إلى الزعيم محمد فريد فى سجنه

فى سنة ١٩١١ حوكم الزعيم محمد فريد أمام محكمة الجنايات بتهمة أنه حبّذ الجرائم وأهان الحكومة إذ كتب مقدمة لكتاب (وطنيتى) الذى تضمن قصائد نظمها الأستاذ على الغاياتى ، ومع أن هذه المقدمة كتبها الزعيم دون أن يطلع على محتويات الكتاب وقبل أن يتم المؤلف وضعه ثم سافر الزعيم إلى أوروبا فى مايو ولم يظهر الكتاب إلاّ فى شهر يوليه ، وليس فى المقدمة ما يقع تحت أى نص من قانون العقوبات . ومع ذلك فقد أقامت عليه النيابة الدعوى العمومية ، وكان الغرض من محاكمته إرهابه وتهديد أنصاره واضطهاد الحركة الوطنية ، وقد حكم عليه فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر فى هذه التهمة الباطلة ، ونفذ فيه الحكم يوم صدوره .

فنظم أحمد نسيم قصيدة من روائع الشعر الوطنى بعنوان (إلى الرئيس فى سجنه) حيّاه فيها أبلغ تحية ، وعبر عن الشعور العام بإزائه أصدق تعبير ، قال :

ياليتَ سجنكَ لم يكن بمقدَّر ... فاصبرْ على المقدور ستة أشهر
قد جلَّ رزء الشعر حتى خلتُه ... بعض الرثاء وأنت لما تقبر
لولا احترام الحاكمين وحكمهم ... لجعلته مثل الشواظ الأحمر
أقصرتَ فى ما قلتَ حتى لم تَسَلْ ... أمقصرا أم كنتَ غير مقصر[1]
وتركت أقيال الدفاع فلم تعن ... بالمِدْرَه المشهور أو بالأشْهَرِ
يكفيك عطفُ العالمين ووجدهم ... من أكبرٍ يطأ الثَّرَى أو أصْغر
حتى لقد ماد (البقيع) و(يثرب) ... وتزلزت أرض (الصَّفا) و(المشعر)
والْتَاعَ قلبُ (محمد) لمحمد ... رب المحامد والعلا والمفخر

* * *

إنى نظرتك فى اتهامك واقفاً ... فظننتُ أنك واقف فى المِنْبر
لتقول شعبى أو بلادى إننى ... لِهَوَاكُما بين اللَّظَى المتسَعِّر
ولقد رأيتك جالساً مستبسلا ... خلف الشِّباك جلوس من لم يُذْعَر
فرأيتُ فى هذا الشباك مَعانياً ... فهى العرينُ وأنت أجرأ قَسْوَر
ولقد لمحتك ماشيا فى ثُلَّةٍ ... تعتز بينهم بقدر أوفر
فسألت هل هذا المسور «خالد» ... أم «جوهر» يختال بين العسكر

* * *

أفريدُ يا ابنَ الأكرمينَ تحيةً ... من شاعر بسوى الأسى لم يشعر
فى مصر قوم ناوأوك بشرِّهم ... فاردُدْ مكايدَهم إليهم وانحر
ذكروك فى حب البلاد وأهلها ... ما قيمةُ الإنسان إن لم يُذكر؟
لو كنتَ ممن تاجروا بضميرهم ... للعبتَ لعبا بالنضار الأصفر

---

(١) يشير إلى إيجاز الفقيد فى جوابه على أسئلة المحكمة وعدم استعانته بمحامين للدفاع عنه إيمانا منه ببطلان التهمة وتحديا للمؤامرة التى اتخذت شكل المحاكمة.

أو كنتَ ممن يطلبون مراتبا ... لشأوت فى العلياء نجم المشترى
وسبقت أجرام السماء وفُتّها ... من مظلم فى ذاته أو نيِّر

* * *

أ (محمدْ) كن فى النوائب ضَيْغَمًا ... مستجمعا للطارئ المتنمر
إن بتّ أنت من الفوادح جازعا ... ما فضل مفتول الذراع غضنفر؟
أشرقْ لعلك بين سجنك مشرقا ... تهدى سبيل الطارق المتنور
فالشعب بعدك بات ينتجع العُلا ... وغدا مُناهْ ورود هذا الكوثر

أنعمْ بسؤددك العظيم ومرحبا ... بك من كريم الأصل زاكى العنصُر
أَعْزِزْ علينا يا ابن « أحمد » حالةْ ... جاءت بعيش بالهموم مكدر

* * *

فكأنه بدرٌ يحجب نورَه ... ظلماتُ غيم فى السماء كَنَهْوَر
أو دُرّةٍ مكنونة فى زاخر ... أو دمعة مخبوءة فى محجر
أو زهرة فيحاء خيف ذبولُها ... وضياع نفحتها إذا لم تستر
أو ناظر غمضت عليه جفونه ... حذرا عليه من القذى والعثير
أو أنت سر الكائنات محجب ... أو بعض مكنون القضاء المضمر

* * *

إلى أن قال :

أمحمد ما أنت أولُ مبتَلًى ... بالقادحات من الزمان الأكدر
إنى عهدتك خير من يسدى الورى ... رأياً وخير مفكر ومدبِّر
فاشهرْ لدى الأهوال عزما صادقا ... فلربَّ عزمٍ كالحُسام الأبتر
ما الناس إلا اثنان ذاك ميسَّرٌ ... للصالحات وذاك غير ميسر
جلّ الإله فقد أرانا علمه ... من كل شىء فى الوجود مسخر

بانت مراحمه بأكمل رونق وبدت مآثره بأكمل مظهر
لولا الفؤاد وما أصاب دفينه ما كنتُ عن ذكراك بالمتأخر
لولا مراس الداء صغت قصيدة أربت على شعر الأديب المكثر

* * *

عفواً رئيسَ المخلصين فإننى ما رمت إلّا جل عفوك فاغفر
قد جئتُ أرجى فى القريض خريدة قد بات يحسدنى عليها (البحترى)
عطرية فيحاء طورا عن شذا وَرْدٍ وطورا عن أريج العنبر
فيها معان صاغها لك مبدع جم البيان خياله لم يحصر
فاخلع عليها من خلالك نفحة حتى تضوع بنفح مسك أذفر
لى فيك ملء الخافقين لآلئ زهر تبيع بها الرواة وتشترى
فعليك منى ما حييت تحية وسلام كسرى فى الملوك وقيصر

يحيي الوحدة الوطنية

قال سنة ١٩١٩ يحيي الوحدة الوطنية والتآخى بين المسلمين والأقباط :

أقباط مصر ومسلموها ضمّهم دين المسيح وشرعة الإسلام
الناشئون على الطهارة والتقى والقائمون بمصر خير قيام
والخالدون إلى السكينة كلما جاء الزمان بشدة وعرام
برح الجفاء وبان أنّا أمة لم تبغ غير محبة ووئام
إنّا لنرجو أن نعيش بغبطة توحى السلام وتنتهى بسلام

يرثى فريدا

قال سنة ١٩١٩ من قصيدة فى رثاء محمد فريد :

رمانا الزمان بإحدى الكبر ومنه العظات ومنه العبر!

obeikandl.com

شهيد تصارع فى حومة رماه القضاء بهـا والقدر
وخلف من بعـده أمة كسرب النجوم فقدن القمر
أتى جثـة سـافرت للبلى ولم يسترح من عنـاء السفر
منًى أوردته حياض الردى وورد الردى ما له من صدر
تعلقها عنـد شرخ الصبا ولم يجفها عند مس الـكبر
وأينع فى روضها غرسـه ولم يبق إلا اجتناء الثمر
وأى امرئ عاش أقصى المدى فنال من العيش أقصى الوطر ؟

* * *

إلى أن قال :

هنيئا لميت نعته العـلى وطوبى لحى وعى وادّكر
وحسـب فريد مُنى نالها فقد حصدت كفه مابذر
فتى أغمض الموت أجفانه وأطبقها بعـد طول السهر
أفاض على قـومه ماله فأدى الحقوق وأسدى البدر
طويل نجاد الجـدى عائل لـكل ضريك إليـه افتقر
رأى الحرص عارا على نفسه فهان على نفسـه ما ادخر
وكان بصيرا بعقبى الندى يرى المال يفنى وتبقى السير
وأخـلد ما للفتى ذكره إذا نزل القـبر لا ما يذر
وكم صامت ناطق فى الثرى بآى فصـاح كآى السور
وليس الذى ذكره خامل كمن شاع صيت له وانتشر
وليس بميت أغر اسمـه على صفحات العـلى مستطر
خطيب المنـابر منطيقها وأسلس من فوق جمع نثر
فإن يكب يوما بمضماره فكم من جواد كبا أو عثر

وما زال ينهب فى عدوه فيافى الفجائع حتى ضمر
وحتى دهته بأعنتهـــا كوارث كاسرة للفِقر

وختمها بقوله :

أرى « كاملا » راح فى شرخه وأودى « فريد » حميد الأثر
زعيما بلاد خلت منهما ، «أبو بكر» مات وولّى «عمر»
عزاء العـــلا عنهما أمة تنادت لتجديد مجد دثر
وشعب سعى نحـــو آماله بعز توقد حتى استعر
وما من ضعيف القوى واهن تشبث بالحـــق إلا انتصر

يحيي جريدة الأخبار

قال سنة ١٩٢٠ يحيي المرحوم أمين الرافعى لمناسبة إصداره جريدة الأخبار :

يا وحيُ أسعفنى بنظم تلادة صِيغت لآلئها من الأشعار
هذا (أمين الرافعى) ومن له خير الســـجايا الغرّ والآثار
يا (رافعىّ) لأنت أصدق مخلص للنيـــل فى الإعلان والإسرار
جَرّد يراع المخلصين وذُدْ بها بطش القوى وصولة الجبّار
واحذر على (الأخبار) من آفاتها إن (الرواة) لآفة الأخبار
اليوم هنأتُ البلاد بكاتب ملـكت يداه صحيفة الأحرار

يندد بالانقسام ويدعو إلى التآخى

وقال سنة ١٩٢١ حين اشتد الانقسام بين سعد وعدلى وأنصارهما ، يندد بهذا الانقسام ويدعو إلى توحيد الصفوف :

قالوا انقسمنا فقلنا فتنة عَمَم بها تُفلّ مواضى العزم والهمم
ولم نـكن غير جيش راكب طرفا شتى المسالك من سهل ومن أكم

حتى يرفّ لواء الفوز منعقدا ... على الزمان بحق غير مهتضم
وكيف نُقْسَم والتاريخ ينبئنا ... أن الفلاح لشعب غير منقسم
فحاذروا أن تحلوا عقد شملكم ... فتقرعوا السنّ من حزن ومن ندم
ونظموا ما استطعتم من صفوفكم ... فالجيش إن يَعْرُه الإخلال ينهزم
ولا أحدثكم عن إرثكم عجبا ... فمنه كان بزوغ المجد والكرم

* * *

والمجد يدرك بالأعمال منجزة ... لا يدرك المجد بالألفاظ والكَلِم